التكلف في الحكم على نصوص أهل الكتاب

عرض ومناقشة

د. أحمد محمد فلاح النمرات

أكاديمي أردني، أستاذ مساعد،

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

تناول علماء الاسلام أسفار أهل الكتاب بالبحث والنقد قديمًا وحديثًا، إلّا أنه يلاحظ تكلف بعض الباحثين المعاصرين في حكمهم على تلك الأسفار. يعرض البحث هذا الخطأ المنهجي؛ نصيحةً للباحثين، وسعيًا للوصول إلى منهج نقديٍّ إسلامي خالٍ من مُشكلة التكلّف.

وجاء البحث في مقدّمة وتمهيدٍ ومبحثَين وخاتمة، وسارَ الباحثُ فيه وفقَ المنهج الاستقرائيّ التحليليّ النقديّ.

تضمّن المبحثُ الأوّل تعريف التكلف ونوعيه وموقف القرآن الكريم منه، وعوامل التكلف عند الباحثين، وتناول المبحث الثاني عرض نماذج من تكلفات الباحثين ونقدها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وما قرره علماء الاسلام.

ومن هذه التكلفات الاستشهاد على نبوة نبينا محمد ﷺ بأوصاف وردت في سفر نشيد الإنشاد، ومثل حمل النص على غير المراد، ما أدى إلى نقد نبوؤة جبال فاران الواردة في التوراة وردها، ومثل نقد الأمر الإلهي بقتل عبدة العجل الوارد في التوراة والذي صدقه القرآن الكريم، وغيرها من التكلفات التي عرضها الباحث وناقشها. وانتهى الباحث إلى خطورة تكلف الباحثين في الحكم على أسفار أهل الكتاب؛ حيث أدّى إلى إحقاق الباطل، وإبطال الحق، والتقوّل على الله بغير علم، ومصادمة القرآن الكريم والسنّة الصحيحة. وأظهر البحثُ أنّ العاملَ النفسيَّ عند بعض الباحثين، أو الردّ على الخصم بالمثل، وعدم الرجوع إلى الكتاب والسنة، هي عوامل الوقوع في التكلف.

د. أحمد محمد فلاح النمرات

ahmednimrat2013@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين الذي أمر بالتيسير فقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ونهى عن التكلف فقال سبحانه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أجاب ربه تعالى فلم يتكلف، ونهى المسلمين عن التكلف، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان.

وبعد؛ فقد سارت سنة الناس وما زالت تسير على الانتصار لدينهم وعقائدهم بطرق شتى، ومن هذه الطرق نقد النصوص المقدسة عند غيرهم، ومحاولة إثبات أخطاء فيها لإبطالها وتشكيك أصحابها فيها. وقصد بعضهم إلى إثبات معتقده من خلال نصوص الآخر. وقد كتب كثير من علماء وأتباع الأديان مؤلفاتٍ لهذ الغايات.

إنّ من يدقق النظر في بعض هذه المؤلفات يجد تكلفًا واضحًا تجشّمه كاتبوها؛ وهم يحاولون إنزال نصوص دينية مقدسة عند غيرهم لإثبات صحة ما يعتقدونه هم، ومثال ذلك ما تكلفه بعض الكتّاب المسلمين في إثبات نبوة سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من سفر نشيد الإنشاد الذي أجمع علماء كثُرٌ - من المسلمين ومن أهل الكتاب - وناقدون قديمًا وحديثًا على أنه سِفرٌ غزلي بعيدٌ عن الوحي والدين كما هو مفصَّلٌ في البحث، فإنزال بعض الباحثين نصوص هذ السِفر على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تكلفٌ ما كان ينبغي القول به، والواجب الاكتفاء بنصوص واضحة تدل على النبي الخاتم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في أسفار أهل الكتاب الأخرى.

ويجد المدقِّق النظر فرقًا بين الأعلام من الناقدين المسلمين القدامى الذين

كتبوا في الأديان فأبدعوا أمثال: ابن حزم والشهرستاني والقرافي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم، رحمهم الله جميعًا، وبين المعاصرين الذين بذلوا جهدًا طيبًا، لكنه لم يخل من تكلفات واضحة عند بعضهم.

ومن خلال قراءتي كتبَ العديد من هؤلاء المعاصرين وقفت على نماذج عدة من هذه التكلفات، فرغبت في التقرب إلى ربي جلّ في علاه طاعةً له سبحانه ولنبيه ﷺ الذي قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١)، فكان هذا البحث نصحًا للباحثين المسلمين وإظهارًا للحق من خلال التنبيه على نماذج من هذه التكلفات ونقدها وتصويبها بالبرهان، في بحث مختصر يؤدي الفائدة المرجوة إن شاء الله، وقد سميته: «التكلف في الحكم على نصوص أهل الكتاب: عرض ومناقشة» في محاولةٍ للتّنبيه إلى ثَغرةٍ في المنهج النقدي عند بعض الناقدين المسلمين المعاصرين، ومحاولة للوصول إلى منهج بعيد عن الخطأ. سائلًا المولى تبارك وتعالى التيسير والقبول، إنه سميع قريب مجيب.

۞ أهمية البحث:

في الوقت الذي تتركز فيه دراسات الباحثين المسلمين على دعوة أهل الكتاب بنقد عقائدهم الفاسدة، ونقد نصوصهم التي يقدسونها ويعدونها وحيًا إلهيًا؛ إضافة إلى نقد شبهاتهم وردّ مطاعنهم، وهذه أمور جليلة = فإنّ هذه

---

(١) انظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب الايمان، باب الدين النصيحة، باب قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة» بدون رقم لأنّ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل الحديث عنوانًا للباب ولم يورده ضمن الأحاديث، ١/ ٢١، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الايمان، باب بيان أنّ الدين النصيحة،١/ ٧٤، رقم الحديث (٩٥).

الدراسة تختلف بتركيزها على مشكلة التكلف عند بعض الناقدين المسلمين، ولها أهمية تكمن في هذه الأمور:

- جِدّة الموضوع، حيث يعرض مشكلة منهجية نقدية محددة لم تعرض من قبل.

- يعد البحث أحد محاور المنهج المنصف الذي ينقد خطًا علميًا عند بعض الناقدين.

- محاولة الوصول إلى منهج بحثي ونقدي إسلامي يخلو من العيوب والنقد ما أمكن.

۞ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

- إبراز مشكلة تكلف بعض الناقدين المسلمين في التعامل مع النص الديني عند أهل الكتاب.

- الوقوف على أسباب مشكلة التكلف عند بعض الناقدين، والوقوف على خطورة التكلف وآثاره.

- عرض نماذج من تكلفات الناقدين المسلمين ودراستها وتحليلها ونقدها بإنصاف.

۞ الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة في الموضوع، ولعله جديد في بابه في حدود علمي وسؤال الزملاء المهتمين بدراسة الأديان.

۞ منهج البحث:

- سرت في هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

- اجتهدت في عرض مشكلة تكلف الناقدين في فهم نصوص أهل الكتاب والحكم عليها.

- أوردتُ نماذج من هذه التكلفات، ثم تناولت كلَّ نموذج بالتحليل وبيان الخطأ ونقده.

- بالنسبة إلى ميزان النقد فقد كان في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وما قرره علماء الإسلام. ورجعت إلى معظم كتب التفسير، وبعض ما قرره علماء أهل الكتاب أحيانا مما وافق الصواب.

- شرحت الكلمات الغربية بالاعتماد على معاجم اللغة العربية، ومعاجم الكتاب المقدس عند أهل الكتاب.

- بالنسبة إلى توثيق النصوص الدينية عند أهل الكتاب فقد أخترتها من نسخة صادرة عن إصدار كنسية «الأنبا تكلا هيمانوت» بالإسكندرية، نظرًا لتوفرها بصيغة (word)، وقد قارنتها بالنسخة اليسوعية الصادرة عن دار المشرق في بيروت عام ١٩٩٤م.

- بالنسبة إلى الأعلام فقد اكتفيت بذكر عام الوفاة.

۞ خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

مقدمة: وفيها أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وخطته.

تمهيد.

المبحث الأول: التكلف وما يتعلق به، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التكلف.

المطلب الثاني: نوعا التكلف.

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من التكلف.

المطلب الرابع: عوامل التكلف عند الباحثين في الأديان.

المبحث الثاني: نماذج من التكلف عند الباحثين المسلمين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التكلف في حمل النص على ظاهره غير المراد.

المطلب الثاني: التكلف في تفسير نصوص سفر نشيد الإنشاد لإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ.

المطلب الثالث: التكلف في ردّ نصوص أهل الكتاب ونقدها، وفيه نموذجان:

النموذج الأول: نقد الأمر الإلهي بقتل عبدة العجل الوارد في سفر الخروج.

النموذج الثاني: قصر العهد الإلهي مع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الختان فقط.

المطلب الرابع: خطورة التكلف وأثره السيِّئ.

الخاتمة، وفيها نتائج البحث.

المراجع.

الفهرس.

تمهيد

إنّ الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه وأستغفره وأتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بالعدل فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فالحمدُ لله على ما شرع وعلّم وبيّن، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، أعظم من حكم فعدل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد؛ فما زالت مؤلفات علماء الإسلام تتوالى منذ صدر الحركة العلمية الإسلامية بين إثبات لصحة دين الإسلام ونبي الإسلام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من جهة، وبين المؤلفات النقدية لأهل الكتاب، إثباتًا للتحريف في أسفارهم وإبطالًا لعقائدهم من جهة أخرى. وما زالت هذه الجهود مستمرة، ولكن من اللازم – حتى يؤتي النقد ثماره – أن يكون صحيحًا مستندًا للبرهان من النقل والعقل، وأن يغلّفَ النقدُ باطنًا بالإخلاص في دعوة أهل الكتاب، وأن يغلف ظاهرًا بالوضوح والبرهان وآداب البحث العلمي وأخلاقياته، ومنها البعد عن التكلف، وإنّ الباحثين المسلمين أولى بهذا الخلق من غيرهم، بل ترك التكلف لازم في حق الباحثين المسلمين عند دعوتهم أهل الكتاب حتى لو تكلف علماء أهل الكتاب في تأويل النصوص، فإنّ طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ أولى من مجاراتهم في تكلفهم. وإنّ الاعتدال والبعد عن التكلف من أهم أخلاقيات البحث العلمي، وخاصة عند البحوث النقدية المتعلقة بأسفار أهل الكتاب.

ومن خلال اهتمامي بالدراسات النقدية الموجهة لأسفار أهل الكتاب، فقد لاحظت تكلفًا واضحًا عند بعض الباحثين والناقدين المسلمين، سواء في نقدهم

أسفارَ أهل الكتاب، أو في إثباتهم نبوّةَ سيدنا محمد ﷺ؛ الأمر الذي دعاني لكتابة هذه الصفحات وعرض نماذج لهذه التكلفات، مبينًا وجه التكلف، ونقده، وتصويبه بالحق والبرهان؛ للتنبيه على هذه الثغرة ومحاولة القضاء عليها أو الحد منها.

إنّ تناول مشكلة التكلف عند بعض الناقدين المسلمين وتخطئة بعضهم في نقده نصوصًا لأهل الكتاب ليس من باب كشف الخطأ بحد ذاته، وإنما هو أمر تعبدي أمرنا الله تعالى به بقوله جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥]، فتخطئة باحث أو ناقد مسلم في اجتهاده، وتصويب نصٍ من نصوص أهل الكتاب بالدليل هو عبادة لله تعالى، ونصيحة يقدمها الباحث عسى أن تنفع القارئ والسامع لها.

وقبل عرض التكلفات يحسن ابتداءُ الكلام بتعريف التكلف، وذكره في القرآن الكريم، ونوعيه، وعوامله.

❁ ❁ ❁

المبحث الاول

التكلف وما يتعلق به

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

تعريف التكلف

قال الراغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التكلف: اسم لما يُفعل بمشقة، أو تصنُّع، أو تشبع»(١).

وقال ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلّفه الشيءَ تكليفًا؛ إذا أمره بما يشُق عليه. وتكلفتَ الشيء إذا تجشمتَه على مشقة، وعلى خلاف عادتك. والمتكلِّف: المتعرض لما لا يعنيه. ومنه حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «نُهينا عن التكلف»(٢) أراد كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها، والأخذ بظاهر الشريعة وقبول ما أتت به»(٣).

وقال ابن منظور(ت: ٧١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتكَلِّف: الوقّاع فيما لا يعنيه.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٧٢١، تحقيق صفوان داوودي، ط٤، دار القلم، دمشق، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ٩/ ٩٥، رقم (٧٢٩٣).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير، ج٤/ ١٩٦ - ١٩٧، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

والمُتكلِّف: العِرِّيض لما لا يعنيه»(١).

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «القول والعمل بلا علم، وطلب ما لا يدرَك»(٢).

المطلب الثاني

موقف القرآن الكريم من التكلف

رفع الله تعالى الكلفة عن المؤمنين فقال سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ أي فلا يضيّق عليها ولا يُجهدها(٣)، ولا يحملها فوق طاقتها(٤)، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾[الطلاق: ٧]، وهذا كله من تيسير الله تعالى ورفعه الحرج عن هذه الامة، يقول سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦] وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يبين للناس أنه ليس من المتكلفين فقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦]. قال الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد أنّ هذا الذي أدعوكم إليه دين ليس يحتاج في معرفة صحته إلى التكلفات الكثيرة، بل هو دين

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ج ٩، ص٣٠٧، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ٤/ ١٣٨، جمع وتحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٣) تفسير الطبري، ٦/ ١٢٩.

(٤) تفسير البغوي، ١/ ٤٠٢.

يشهد صريح العقل بصحته»(١).

وجاء في التفسير الحديث: «وفي الأمر الرباني للنبي ﷺ بالإعلان بأنه ليس من المتكلفين تلقينٌ تأديبي رفيع للمسلمين بأن لا يتصفوا بما ليس لهم علم، وبأن لا يكونوا فضوليين فيما ليس فيه مصلحة وفائدة»(٢).

وهكذا نجد أن الله تعالى نهى في كتابه العزيز عن التكلف، وهو أمر عام في القول والعمل والبحث والسلوك، فمن ترك التكلف لوجه الله تعالى كان عابدًا طائعًا له سبحانه، ومخالفًا هوى نفسه، ومن تعمّد التكلف فقد خالف أمر ربّه جل شأنه، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

المطلب الثالث

نوعا التكلف

ذكر أهل العلم أنّ التكلف على نوعين: مذموم ومحمود، وبيّن الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك فقال: «.. التكلف على ضربين: محمودٍ، وهو ما يتحرّاه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلًا عليه ويصير كلفًا به ومحبًّا له، وبهذا النظر يستعمل التكليف في تكلف العبادات. الثاني: مذموم،.....، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦] وقوله

(١) تفسير مفاتح الغيب، محمد بن عمر الرازي، ٢٦/ ٤١٦، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٢) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، ٢/ ٣٥٩.

ﷺ: «أنا وأتقياء أمتي برآءُ من التّكلف»(١)(٢).

قلت: من التكلف المذموم التكلف في البحث العلمي، وهو ما يدفع الباحث لتحميل نصٍ من النصوص ما لا يحتمل، فيحمّل النصّ شيئًا ليس فيه، أو يكون المعنى الذي قصده بعيدًا جدًا، أو يُعرض الباحث عن المعنى القوي الظاهر ويتحرى معنىً ضعيفًا فيجعله هو المراد، أو يبني مسألة ما على نصوص بعيدة عن المراد.

ومن مظاهر التكلف التي ذكرها العلماء قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم إنّ أكثر المتعمقين في العلم من المتأخرين يقترن بتعمقهم التكلفُ المذموم من المتكلمين والمتعبدين، وهو القول والعمل بلا علم وطلب ما لا يدرك. وأصحاب محمد ﷺ كانوا - مع أنهم أكمل الناس علمًا نافعًا وعملًا صالحًا - أقلَّ الناس تكلفًا، يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف ما يهدي الله بها أمة، وهذا من منن الله على هذه الأمة. وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلفات والشطحات ما هو من أعظم الفضول المبتدعة والآراء المخترعة لم يكن لهم في ذلك سلف إلا رعونات النفوس المتلقاة ممن ساء قصده في الدين»(٣).

---

(١) نقل السخاوي عن النووي أنّ الحديث ليس بثابت. انظر: المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت،١/ ١٧١، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٧٢١ - ٧٢٢ بتصرف يسير.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى،، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ٤/ ١٣٨.

يلاحظ أنّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذم المتكلفين الذين حشوا مؤلفاتهم بنظريات وآراء باطلة دون اتباع لسلف صالح من هذه الأمة، وإنما تأثرًا بمن ساء قصدهم في الدين، ولعله أراد بهم الفلاسفة أو الباطنية، والله أعلم.

ومنها ما أشار إليه ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «... وقد نهينا عن التكلف، ولا شك أنّ في مراعاة ما غمُض حتى لا يدرك إلا بالظنون غاية التكلف»(١).

إنّ التكلف المذموم موجود في الكتب قديمًا وحديثًا، وكثيرًا ما كان يصرّح علماؤنا في تعليقهم على كلام غيرهم بأنّ هذا رأي فيه تكلف وهو بعيد. وإنّ تحميل النصوص ما لا تحتمل مخالف للأمانة العلمية، وبتر النصوص وأخذ عبارة واحدة دون مراعاة ما قبلها أو ما بعدها هو تجنٍّ على النص، وكذلك ليّ أعناق النصوص وتطويعها لتوافق رأي الباحث كلها من مظاهر التكلف في البحث العلمي ومخالفة لأخلاقياته.

ومعاني التكلف السابقة الذكر جميعًا هي قصدي من هذا البحث(٢).

ومن خلال قراءتي كتبَ الناقدين المسلمين والنصارى وقفت على نماذج من هذا التكلف عند بعضهم، وقد رأيت أنّ هناك عواملَ تدفع الباحث في مقارنة الأديان للوقوع في التكلف يحسن الوقوف عليها.

---

(١) انظر: فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر، ٤/ ١٢٧.

(٢) تظهر هذه المعاني بوضوح من خلال نماذج التكلف في البحث.

المطلب الرابع
عوامل تكلف الباحثين في علم مقارنة الأديان

❁ أولاً – العامل النفسي:

يُعد العامل النفسي الدافعَ الأول للتكلف عند بعض الباحثين في الأديان؛ ذلك أنّ رغبة داخلية جامحة عند الباحث قد تدفعه للإفراط في التماس تأييد الحق عند الديانات المنحرفة، علمًا بأنه يُكفرهم فلا يؤمن بدينهم ولا بكتبهم المقدسة، فالباحث المسلم يجزم أنّ التحريف قد خالط أسفار اليهود فلا قداسة لها، ثم تجده يستشهد لإثبات نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بنصوص من تلك الأسفار التي جزم علماء الإسلام وبعض علماء أهل الكتاب ببشريتها، كسفر نشيد الإنشاد المنسوب إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ زورًا وبهتانا[١]. وبالرغم من هذا تجد بعض الباحثين المسلمين المعاصرين[٢] تكلفوا في إثبات نبوة نبينا محمد من خلال إنزال بعض ما ورد في هذا السفر على صفات نبينا ﷺ، وكذلك فعل بعض علماء النصارى، أقصد أنهم تكلفوا، بل تكلفوا جدًا وهم يحاولون تطويع نصوص هذا السفر ليثبتوا قدسيته المزعومة، وذلك انتصارًا لاعتقادهم الفاسد في علاقة المحبة بين الله تعالى وبني إسرائيل من جهة أو محبة المسيح للكنيسة[٣].

---

(١) هذه حقيقة ثابتة ويعترف بها علماء أهل الكتاب أنفسهم كما هو مفصل ص (٢٠ و ٢١) من هذا البحث.

(٢) انظر: إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال التوراة والانجيل، حفيظ اسليماني، ص١٢٤، ط١، دار الحكمة، القاهرة.

(٣) انظر مثلا: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، د. بروس بارتون وآخرون، ص ١٣٦٤، شركة =

إنّ ما يدفع كلًا من المسلم والنصراني في المثالين السابقين هو أمر نفسي دفع صاحبه للتكلف من أجل إثبات صحة معتقدة وإقامة الحجة على الخصم في الوقت ذاته، مع الفرق بين كون الباحث المسلم يريد إثبات حق لكن بطريق غير صحيح، والنصراني الذي يريد إثبات باطل بطريق باطل، فالمسلم غنيٌ عن هذا الطريق؛ لأنّ ما عنده من النور والبرهان النقلي والعقلي والأخلاقي لإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ أجلى وأسطع من أن يجعله يضطر لإثبات هذا المقصد الجليل بطريقة فاسدة وباطلة. وهكذا يلاحظ دور العامل النفسي، وكيف أنه يدفع بعض الباحثين للوقوع في إشكالية التكلف.

❁ ثانيًا – الرد على الخصم بالمثل:

ما دام أنّ هناك من يتكلف في فهم النصوص من أجل إثبات معتقده والتشكيك في معتقد الخصم، فمن الطبيعي أن يجد هذا المتكلف متكلفًا من الطرف الآخر ليعامله بالمثل، وهكذا تجد التكلف في الرد والرد الآخر، حتى لو علم كلٌّ منهما بأنّ تفسيره نصًّا ما مجانب للصواب، فإنه يغالب نفسه ويتجنى على النص لغاية الانتصار لنفسه ومعتقده ولو بالباطل.

وقد رأيت التكلف في تفسير علماء أهل الكتاب لأسفارهم واضحًا، وكذلك تكلفهم في تفسير آيات القرآن الكريم، في محاولة يائسة وباطلة لإنزال ما يريدون إثباته من عقائد باطلة، ودعوى أنها موجودة في القرآن الكريم، ولعلّ أبرز مثال

=

ماستر ميديا، القاهرة، مصر. ودليل العهد القديم، د. ملاك محارب، ص٩٧، الناشر أبناء الأنبا رويس، بدون طبعة وتاريخ.

على هذا التكلف دعوى وجود عقيدة التثليث في القرآن الكريم. وقد حاول النصراني حبيب سعد في كتابه (أديان العالم) إثبات صحة معتقده الفاسد في التثليث بآيات قرآنية؛ حيث يقول تحت عنوان: عقيدة الثالوث في الإسلام: «ومع كل تشديد المسلم على عقيدة التوحيد، فلا تعجب إن قلت لك إنّ عقيدة الثالوث موجودة في القرآن كما هي في الكتاب المقدس..[١]» إلى آخر هذا التخرص والإفك الذي حاول الكاتب الاستدلال عليه زورًا وبهتانًا من خلال التكلف الواضح في فهم آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦] حيث زعم أنّ ضمير الجمع في كلمة (خلقنا) يفيد التثليث[٢]، علمًا بأنّه للتعظيم، وهو مستخدم بكثرة في القرآن الكريم.

إنّ ما زعمه هذه الكاتب لا يَعدو كونَه تكلفًا واضحًا، وهو يحاول إثبات معتقده من خلال القرآن الكريم الذي جاء وصرح بوضوح عدة مرات بكفر النصارى القائلين بالتثليث، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وكذلك قوله سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧]، فهذه آيات واضحة جدًا تؤكد كفر النصارى القائلين بالتثليث، لكنّ لغاية الرد بالمثل على الخصم، عمي عنه الكاتب تعمدًا، وأغفل ذكر الآيات السابقة وغيرها، ليعمد إلى إثبات

---

(١) انظر: أديان العالم، حبيب سعد، ص ٢٨٤ - ٢٨٥، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، بدون بيان طبعة وتاريخ.

(٢) انظر: أديان العالم، حبيب سعد، ص ٢٨٥.

معتقده الفاسد بدافع الرد بالمثل على علماء الإسلام الذي أثبتوا وجود التوحيد في أسفار أهل الكتاب وفي كلام المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

❁ ثالثًا - عدم مراعاة لغة النصوص الدينية:

أعني بهذا السبب أنّ تكلف بعض الناقدين يرجع أحيانًا إلى عدم مراعاة لغة الكتب المقدسة عند أصحابها؛ فلغة التوراة وأسلوبها تختلف عن لغة القرآن الكريم، فينبغي على الناقد أن يتوخى الحذر قبل النقد؛ لأنه ربما يحمله فهمه الخاطئ لكلمة ما على نقدها وهي صحيحة، في حين أن المشكلة في سوء فهمه هو لا في الكلمة أو النص، فنجده ينقد ويتكلف في الاعتراض على بعض الكلمات أو النصوص لهذا السبب. ومثال هذا التكلف حمل كلمة «جاء الربّ من سيناء» - الواردة في التوراة - على المجيء الحقيقي وردها بدعوى أنها تقتضي التجسيد، علمًا أنه إشارة قوية إلى نزول الوحي الإلهي كما هو مفصل في المبحث الآتي.

فهذه أبرز العوامل التي تدفع الباحث إلى الوقوع في التكلف.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

نماذج من تكلف الباحثين

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

تكلف في حمل الكلام على ظاهره غير المراد

تكلفَ الباجي (ت: ٧١٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في تفسير النص الآتي الذي ورد في التوراة: «جاءَ الرَّبُّ من سَيناءَ، وأَشرق لهم من سَعِير(١)، وتلألأَ من جبل فاران»(٢)(٣) [تثنية:

(١) سعير ويقال ساعير، وهي مبعث عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم، ١/ ٩٠، مكتبة الخانجي، القاهرة. وسعير: كثير الشعر، وهو اسم أمير منح اسمه للمقاطعة التي سكنها، وقيل: جبل في أرض يهوذا. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ترجمة وتأليف د. جورج بوست،١/ص ٥٥٨، مادة (سعير)، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٨٩٤م. وقال ياقوت الحموي: ساعير: في التوراة اسم لجبال فلسطين، وهو من حدود الروم وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكّا، انظر: معجم البلدان، ٣/ ١٧١. وفي الموسوعة الفلسطينية، سعير: بلدة عربية تقع على مسافة (٨) كم إلى الشمال الشرقي من مدينة الخليل و (٣) كم شرقي حلحول الواقعة على طريق الخليل – القدس. انظر: الموسوعة الفلسطينية، حرف السين، نسخة الكترونية.

(٢) فاران هي مكة أو جبال مكة. انظر: صفة جزيرة العرب، ابن الحائك، ص ١٧٠، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم محمد البشاري، ص ١١، ومعجم البلدان، ياقوت الحموي،٣/ ١٧١. قلت: معلوم أنّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نزل أول مرة على نبينا محمد ﷺ في غار ثور في أحد جبال مكة المكرمة. وبالرغم من إنكار اليهود والنصارى هذه الحقيقة إلا أنّ علماءهم المهتدين أكدوا أنّ فاران هي مكة، انظر مثلًا: الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، علي بن ربن الطبري، ص١٣٨ – ١٣٩، تحقيق عادل نويهض، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٣٩هـ – ١٩٧٣م.

(٣) في النسخة اليسوعية: «أقبل الربّ من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وسطع من جبل فاران» =

٣٣: ١: ٢] قال الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: جاء الله من طور سيناء يقتضي التجسيد(١)، لأنّ المجيء من المكان إنما يصح من الأجساد، والله مُنزهٌ من التجسيد..(٢)».

❁ وجه التكلف، والرد:

تكلُّفُ الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طعنه بهذا النص واضحٌ جدًا؛ فقد اتفق أكثر علماء الإسلام على أنه بشارة واضحة بنبينا محمد ﷺ، ويلاحظ بأنّ الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حمل النص على ظاهره غير المراد، فحمل مجيء الله تعالى على الحقيقة وهذا الاعتراض فيه تكلف واضح لا ينبغي قوله؛ لأنّ ظاهر النص غير مراد بل هو فاسد عند المسلمين وعند أهل الكتاب، ولم أقف على أحد قال به قبل الباجي أو بعده.

ومن أبرز العلماء الذين ذكروا هذه النبوءة الشهرستاني (ت: ٥٤٨) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

=

ص ٤١١.

(١) التجسيد أو التجسيم من الألفاظ المجملة في حق الله تعالى والتي لم يرد بها نصّ في الكتاب والسنة فيُتوقف فيها حتى يستفصل من المتكلم عن مراده فيها: فإن كان معنىً لائقًا بالله تعالى فيجوز حكايته بالمعنى مع التوقف في اللفظ، وأما إن كان المعنى يتضمن نقصًا في حق الله تعالى فإنه يمنع من القول به. ومما يلزم في نسبة الجسد أو الجسم لله تعالى التوقف في اللفظ كونه لم يرد في الشرع، ثم التفصيل في ذلك. وقد تكلم العلماء في هذه المسألة، فقال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أردتم بالجسم جسمًا مكونًا من لحم وعظم وأجزاء يفتقر بعضها إلى بعض أو يحتاج إلى مقومات خارجية، فهذا ممتنع بالنسبة إلى الله الغني الحميد، وإن أردتم بالجسم ما كان قائمًا بنفسه موصوفًا بالصفات اللائقة به فهذا حق ثابت لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يلزم عليه شيء من اللوازم الباطلة» انظر: تقريب التدمرية، ص ٩٦، طبعة ١٤٣٣هـ. مدار الوطن للنشر.

(٢) كتابٌ على التوراة (أو الرد على التوراة) علي بن محمد الباجي، ص ١٩٥، تحقيق السيد يوسف أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

الذي أجاد في توجيهها فقال: «وقد ورد في التوراة أنّ الله تعالى جاء من طور سيناء، وظهر بساعير، وأعلن بفاران، وساعير جبال بيت المقدس، التي كانت مظهر عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفاران جبال مكة التي كانت مظهر المصطفى ﷺ. ولما كانت الأسرار الإلهية، والأنوار الربانية في الوحي، والتنزيل، والمناجاة، والتأويل، على مراتب ثلاث: مبدأ، ووسط، وكمال؛ والمجيء أشبه بالمبدأ، والظهور أشبه بالوسط، والإعلان أشبه بالكمال؛ عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء من طور سيناء، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير، وعن البلوغ إلى درجة الكمال بالاستواء والإعلان على فاران، وفي هذه الكلمات إثبات نبوة المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والمصطفى محمد ﷺ(١)».

وبمثل كلام الشهرستاني قال علماء الإسلام مثل ابن حزم (ت: ٤٥٨هـ) في كتابه «الفصل»(٢)، والجعفري (ت: ٦٦٨هـ) في كتابه «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»(٣)، والقرطبي (ت: ٦٧١هـ) في كتابه «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام»(٤)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»(٥)، والهندي (ت: ١٣٠٨هـ)في «إظهار

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/ ٩٠.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسن الجعفري،٢/ ٦٥٤ - ٦٥٥، تحقيق محمود قدح، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض،١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي،١/ ٢٦٤، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث، القاهرة.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/ ١٩٩ وما بعدها، أحمد بن عبد الحليم بن =

الحق»(١)، وغيرهم، رحمهم الله جميعًا.

قلت: ولم يعترض أحد من العلماء السابقين ولا غيرهم من علماء الإسلام على نبوءة التوراة السابقة، ولم يَحملوا النصّ على التجسد أو المجيء الظاهري نظرًا لما في ذلك من تكلف، ولما يترتب عليه من إفساد وطعن بنص البشارة الإلهية، وما تتضمنه من إقامة الحجة على أهل الكتاب وإثبات نبوة سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ بل إنّ الجعفري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «وقول التوراة في خاتمتها: (أقبل الله من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران) وهذه شهادة صريحة من التوراة وواضحة بنبوة محمد ﷺ ورسالته؛ إذ معنى هذا النص: (جاء الرب) المراد به: ظهور ملاك الربّ على نبيه وتلقينه كلام الله. ثم قال: وبعد معرفة معاني الألفاظ يكون معنى النص: إنّ الله تعالى ناجى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأوحى إليه بساعير وهي من أرض الجبل المقدس، وبعث محمدًا ﷺ رسولًا معلنًا بكلمة لا إله إلا الله مستعلنًا بها من مكة الواقعة بين جبال فاران كجبل أبي قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها، وفي بعض الترجمات: واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطهار، وهل غير محمد ﷺ أرسل في مكة، ثم دخلها ومعه عشرة آلاف مؤمن بشريعة متميزة سمحاء»(٢)؟! وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه النبوءة في موضع آخر: «وهذه معانٍ كلها

=

تيمية، تحقيق علي بن حسن وآخرين، ط ٢، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(١) إظهار الحق، ٤/ ١١٣٤، رحمت الله الهندي، تحقيق د. محمد الملكاوي، ط٢، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري، ١/ ١٨٨.

معقولة، يؤمن بها اللبيب ولا يجريها على الظاهر إلا المريب»(١).

وللأمانة العلمية فقد وقفت على قول للمهتدي علي بن ربن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٧ هـ تقريبا) الذي حمل المجيء على الحقيقة لكنه نسبه للنبي وليس لله تعالى، وقد قال الطبري المهتدي بهذا القول عن علم بلغة التوراة والإنجيل؛ إذ كان نصرانيًا ثم هداه الله تعالى فأسلم، ولذلك حمل كلمة الربّ بمعنى السيد وهو النبي نفسه فقال: «فاران هي البلدة التي سكنها إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولذلك قدم الله ذكرها في التوراة في قوله: «فكان يتعلم الرمي في برية فاران»(٢)، وقد علم الناس كلهم أنّ إسماعيل سكن مكة، فولده وأعقابه فيها وفيما حولها يعرفون مأوى جدهم ولا يجهلون بلده ووطنه، وقد طلع الربّ من فاران فإن لم يكن كما ذكرنا، فليوجدوا لنا ربًا ظهر من جبل فاران ولن يفعلوا. فأما اسم الربّ هاهنا فإنه يقع على النبي ﷺ، وهي كلمة مستعملة من العرب والعجم في الله عَزَّوَجَلَّ وفي عباده، كقولك: ربّ البيت(٣)» فالطبري المهتدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد العبارة وبين أنّ الربّ هنا بمعنى السيد، والمقصود هنا النبي محمد ﷺ، ومثله خبير بألفاظ التوراة ومعانيها رحمه الله تعالى، وقد ورد في القرآن الكريم ما يوافق ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٥٠] أي: ارجع إلى سيدك(٤).

(١) المصدر نفسه، ١/ ٤٥٩.

(٢) نص التوراة هو: «وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. ٢١وسكنَ في بَرِّيَّةِ فَاران» [تثنية: ٢١: ٢١].

(٣) الدين والدولة في إثبات نبوة محمدﷺ، علي بن سهل بن ربن الطبري، تحقيق عادل نويهض، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري، ١٦/ ١٣٣.

ويلاحظ الفرق بين كلام الطبري المهتدي الذي أكد نبوءة التوراة ونَسبَ كلمة «الله» أو «الربّ» للنبي فتكون بمعنى السيد، ولا شك أنّ النبي سيد قومه، وبين الباجي الذي حمل مجيء الربّ على الحقيقة في الدنيا.

وتكلف الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا يؤكد ما تقدم بيانه(١) أنّ عدم مراعاة لغة النصوص الدينية هو أحد عوامل الوقوع في التكلف.

ومما يردّ به أيضًا على رأي الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يقال: إنّ المجيء قد يتعلق بالأجساد وبغير الأجساد، فيصح إطلاقه على ربّ العالمين، لأنه تعالى أثبت هذه الفعل لذاته، فيجب الإيمان والتسليم بذلك، لقوله جلّ شأنه: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] فصفة المجيء ثابتة لربّ العالمين كما حكى ذلك أكثر علماء الإسلام(٢).

والذي يظهر - والله أعلم - أنّ سبب تكلف الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فهم النص هو التأويل الخاطئ لفعل المجيء؛ حيث إنّ هذا الفهم دفعه إلى أن يرد نصًا أجمع علماء الإسلام على الأخذ به والاحتجاج به في باب البشارات بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والرد على اليهود والنصارى.

وجملة القول إنّ الصواب في النص السابق هو مجيء أمر الله تعالى أو وحيه

---

(١) يراجع المطلب الرابع من المبحث الأول.

(٢) انظر مثلًا: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد، ١/ ٣٤٣، تحقيق رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. والعقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص ٦٦، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط٢، أضواء السلف - الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

بالنبوة؛ فمجيؤه من سيناء يراد به وحيه لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإشراقه من ساعير يراد به وحيه لعيسى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، واستعلانه من فاران التي هي مكة بإجماع علماء الإسلام إنما هو وحيه إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

المطلب الثاني

التكلف في إنزال نصوص سفر نشيد الإنشاد على نبينا محمد ﷺ

وقفتُ على كتاب لأحد الباحثين المسلمين المعاصرين وهو يلوي أعناق نصوص نشيد الإنشاد ويجتهد في إسقاطها على نبينا محمد ﷺ، علمًا بأنّ أوصاف النبي ﷺ يمكن أن تؤخذ من مواضع أخرى واضحة من أسفار أهل الكتاب، وتنطبق على أخلاقه العظيمة ﷺ من غير هذا السِفر.

والباحث حفيظ اسليماني[(١)] في اطروحته العلمية الموسومة بـ(إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال التوراة والإنجيل) يؤكد هو وأستاذه المشرف على أطروحته د. محمد البنعيادي[(٢)] أنّ سفر نشيد الإنشاد يتحدث عن نبينا محمد ﷺ، وأخذ يستشهد الباحث على دعواه هذه، وقال في نهاية كلامه: «.. من خلال ما سبق يتضح أنّ سفر نشيد الإنشاد يتحدث عن سيدنا محمد ﷺ، ولخطورة ذلك على أهل الكتاب تمَ نسج السفر على منوال الغزل لإبعاد النص عن أصله المقصود[(٣)]».

---

(١) في أطروحته العلمية الموسومة بـ«إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال التوراة والانجيل»، ط١، دار الحكمة، القاهرة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٢) إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال التوراة والانجيل، حفيظ اسليماني، ص ١٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

۞ تعقيب:

لقد اجتهد الباحث حفيظ اسليماني في أطروحته بتناول ومعالجة النصوص التي تتضمن البشارات بنبينا محمد ﷺ، عدا نصوص سفر نشيد الإنشاد التي يلاحظ وجود تكلف في إسقاط نصوص هذا السفر على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ، وتكلَّف مثله الباحث سامي عامري[١]؛ إذ أنزل عبارات هذا السفر على النبي محمد ﷺ وهو منها براء. وقبل بيان التكلف يحسن الإشارة إلى موقف علماء أهل الكتاب أنفسهم من هذا السفر.

من الآراء المشهورة عند أهل الكتاب حمل هذا السفر على التفسير الرمزي؛ بمعنى أنه يرمز إلى محبة الله لبني إسرائيل، أو محبة المسيح للكنيسة[٢]. وهذا التفسير بحدّ ذاته تكلف جلي وغير مقبول؛ فالنقد الذي وَجَّهَهُ علماء أهل الكتاب لهذا السفر أكبر من أن تقف بوجهه دعوى الرمزية وتكلفاتها.

ومن ذلك النقد ما ورد في مقدمة سفر نشيد الإنشاد في النسخة اليسوعية للكتاب المقدس ما نصُّه: «إنّ هذا الكتاب الصغير يشكل مسألة من أشد المسائل المتنازع عليها في نصوص الكتاب المقدس، فما معنى هذه القصيدة الغزلية (أو مجموعة القصائد الغزلية) في العهد القديم؟ فللكتاب طابع غرامي، ولا يتوقف إلا على الجمال الطبيعي، ولا يذكر الله ولا إنجاب الأولاد، فيه إشارات إلى جغرافية

---

(١) محمد ﷺ في الكتب المقدسة عند النصارى واليهود والهندوس والصابئة والبوذيين والمجوس، ص٥٤ – ٦٢. نسخة إلكترونية، بدون تفاصيل.

(٢) انظر مثلًا: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، د. بروس بارتون وآخرون، ص ١٣٦٤، شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر. ودليل العهد القديم، د. ملاك محارب، ص٩٧، الناشر أبناء الأنبا رويس، بدون طبعة وتاريخ.

فلسطين، لا بل فيه ذكريات أسطورية، ومع ذلك فلا نجد فيه أي مفتاح لتفسيره؛ من الذي ألفه؟ وفي أيّ تاريخ؟ ولماذا أُلف؟..»، وبعد سطور خرج المحررون بنتيجة عن هذه القصائد قائلين: «من الواضح أنّ مؤلفها ليس سليمان»(١).

وأما الناقدون من النصارى فقد صرحوا بأنّ هذا السفر ليس دينيًا بل هو دنيوي شهواني، يقول الكاتب الأمريكي «ول ديورانت» (ت ١٩٨١م) في كتابه الشهير (قصة الحضارة) معلقًا على سفر نشيد الإنشاد: «قد تكون هذه الكتابات الغرامية مجموعة من الأغاني البابلية الأصل، وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين...، ومهما يكن أصلها فإنّ وجودها في التوراة سرٌّ خفي، ولكنه سر ساحر جميل، ولسنا ندري كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال أشعياء والخطباء...»(٢).

وأما الناقد (حنّا حنّا) فهو باحث معاصر يقول في كتابه (هفوات التوراة) عن سفر نشيد الإنشاد: «هذا السفر ليس له علاقة لا بالحكمة ولا بالدين، وإنما هو عبارة عن قصائد غزل وجنس..، الحقيقة أنّ نشيد الإنشاد جاء بكاملهِ حثًا وتشجيعًا إلى التلذذ بالجنس؛ إنه قصيدة جنسية بحتة(٣)».

قلت: إذا كان المنصفون من أهل الكتاب لا يؤمنون بهذا السفر ولا بنسبته إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل يقرون ويصرِّحون بأنه قصائد غزل لا علاقة لها بالدين

---

(١) الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ص ١٣٧٨. ط٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، الجزء الثاني من المجلد الأول، ص ٣٨٨، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) هفوات التوراة، حنّا حنّا، ص ٧٩ - ٨١، ط ١، دار النايا، دمشق، ٢٠٠٧م.

والحكمة، فالعجب من باحث مسلم يؤمن بها ويستشهد بها على نبوة سيدنا محمد ﷺ وفيها ما فيها من التردي الأخلاقي!!

ويمكن الرد على هذا التكلف بما يأتي:

أولًا: أقول: هذا كلامٌ غزلي بل هو كلام شهواني لا يليق إقحام صفات نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيه لتنطبق عليه هذه الصفات، فهناك صفات غيرها أولى وأجدر، كالتي ذكرها الباحث نفسه وأوردها علماء الإسلام قديمًا وحديثًا عن نبوءات أسفار أهل الكتاب المتعلقة بنبينا محمد ﷺ؛ لكنّ كلمات سفر نشيد الإنشاد لا تنطبق أبدًا على نبينا محمد ولا على المسيح ولا على أحد من الأنبياء صلى الله عليهم وسلم جميعًا. وما كلمات هذا السفر إلا شعر بين عاشق ومعشوقته، ما كان ينبغي أن تضفى عليه صفة القداسة، فأين هو من سفر الحكمة أو الزبور أو أشعياء أو غيره من الأسفار المقدسة عند أهل الكتاب التي يلحظ القارئ فيها بقايا من الوحي؟

ولا بد من إيراد بعض نصوص هذا السفر ليتبين القارئ المنصف؛ أيمكن أن تتوافق هذه الصفات والأفعال على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وأقواله أم لا؟ جاء في مقدمة السفر ما يأتي:

١ نَشِيدُ الإنشاد الَّذِي لِسُلَيْمَانَ:

٢ لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ. ٣ لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لِذلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى. ٤ اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ. أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ(١). نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ. بِالْحَقِّ

---

(١) الحجال: بيت العرس المزين بالثياب والأسرة والستائر. انظر: تفسير نشيد الأناشيد، =

يُحِبُّونَ»[(١)] [نشيد الإنشاد: ١: ١ – ٤].

كما يلاحظ القارئ فقد افتُتح السفر افتتاحًا شهوانيًا يتمثل بقبلات الفم، مشبهة القبلات بأنها أطيب من الخمر الذي جاء الإسلام ليحرمه قطعيًا.

وورد أيضًا: «١٢مَا دَامَ المَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِدِينِي[(٢)] رَائِحَتَهُ. ١٣صُرَّةُ الْمُرِّ حَبِيبِي لِي. بَيْنَ ثَدْيَيَّ يَبِيتُ. ١٤طَاقَةُ فَاغِيَةٍ[(٣)] حَبِيبِي لِي فِي كُرُومِ[(٤)] عَيْنِ جَدْيٍ[(٥)]. ١٥هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ. عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ. ١٦هَا أَنْتَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبِي وَحُلْوٌ، وَسَرِيرُنَا أَخْضَرُ»[(٦)]. [نشيد الإنشاد: ١:١٢ – ١٦]

=

أنطونيوس فكري، ص ٦ – ٧.

(١) في النسخة اليسوعية: «نشيد الاناشيد لسليمان. الحبيبة: ليقبلني بقبَل فمه، فإنّ حبك أطيب من الخمر، أطيابك طيبة الرائحة، واسمك طيب مراق، فلذلك أحبتك العذارى، اجذبني نحوك فنجري، قد أدخلني الملك أخاديره، نبتهج بك ونفرح، ذاكرين حبك أكثر من الخمر، إنهم على صواب إذ يحبونك» ص١٣٨١.

(٢) ناردين: طيب دهني يستخرج من ساق نبات ينبت في الهند. انظر: قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٤٠٤.

(٣) في النسخة اليسوعية وردت: «حبيبي عنقود حناء»، انظر: ص ١٣٨٢. وطاقة تعني حزمة، وفاغية نبات الحناء وله زهر رائحته طيبة جدا. انظر: موسوعة تفسير العهد القديم، تفسير نشيد الإنشاد، ص ١١، نسخة الكترونية، إصدار كنسية السيدة العذراء بالفجالة.

(٤) كروم: جمع كرم وهو بستان العنب. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ٢/ ١٢٠، وأيضا ٢/ ٢٥٤ – ٢٥٦.

(٥) عين جدي: عين على الشاطئ الغربي من البحر الميت ينبت عندها النخل. انظر: النسخة اليسوعية ص: ١٣٨٢.

(٦) في اليسوعية: «بينما الملك في حاشيته، أفاح ناردينى رائحته، حبيبي صرة مرّ لي، بين ثديي

=

فهل هذا الهذيان بين مغرمين ينطبق على نبينا محمد ﷺ؟!

وورد أيضًا: «٨صَوْتُ حَبِيبِي. هُوَذَا آتٍ طَافِرًا عَلَى الْجِبَالِ، قَافِزًا عَلَى التِّلاَلِ. ٩حَبِيبِي هُوَ شَبِيهٌ بِالظَّبْيِ أَوْ بِغُفْرِ الأَيَائِلِ[1]. هُوَذَا وَاقِفٌ وَرَاءَ حَائِطِنَا، يَتَطَلَّعُ مِنَ الْكُوَى[2]، يُوَصْوِصُ[3] مِنَ الشَّبَابِيكِ[4]». [نشيد الإنشاد: ٢: ٨ - ٩]، فهل نبينا محمد ﷺ شبيه بالظبي؟ وهل كان من أخلاقه النظر وتتبع العورات من الكُوى والنوافذ؟ حاشاه ﷺ من هذه الأفعال المشينة بل هو أعظم وأكرم وأنبل من هذا كله.

ثانيًا: لا يجوز فصل السفر عن أجزائه الأخرى، وهذا أمر مهم جدًا؛ لأنه قصيدة متكاملة ومواقف ومشاعر متبادلة بين طرفين؛ وعليه فلا يجوز بتر الكلام بأخذ جزء منه وإهمال أجزاء أخرى. فكما أننا نحن المسلمين لا نرضى أن يأخذ يهودي أو نصراني جزءًا من آية في القرآن الكريم تاركًا ما قبلها وما بعدها ومتجاهلًا سبب نزولها، ثم يحكم بأنه استدل بها على التثليث، فهل من فعل ذلك نسلم له؟ أم لا بد

=

يبيت، حبيبي عنقود حناء لي، في عيون كروم جدي، جميلة أنت يا خليلتي، جميلة أنت وعيناك حمامتان. جميل أنتَ يا حبيبي وعذب، وفراشنا ريّان» ص١٣٨٢.

(١) في النسخة اليسوعية وردت: «يشبه ظبية أو شادن أيلة» انظر ص ١٣٨٣. وفي لسان العرب: الإيل والأيل هو الوحش، والأنثى أيلة. انظر لسان العرب، مادة: أهل، ١١/ ٣٢ - ٣٣. وفي تفسير نشيد الإنشاد فسرت غفر الأيائل بصغار الأيائل حيث تشتهر بأنها سريعة. انظر: ص ١٨.

(٢) في النسخة اليسوعية وردت: «النوافذ». انظر ص ١٣٨٣.

(٣) في النسخة اليسوعية وردت: «ويترصد» انظر ص ١٣٨٣.

(٤) في النسخة اليسوعية: «صوت حبيبي هوذا مقبل، وهو يطفر على الجبال ويقفز على التلال، حبيبي يشبه ظبيًا أو شادن أيله، هوذا واقف وراء حائطنا، يتطلع من النوافذ، ويترصد من الشبابيك» ص ١٣٨٣.

أن نخطئه وننقده بأن لا يجوز بتر الكلام أو الاجتزاء منه، وأنّ القرآن الكريم وحدة واحدة مترابطة، يصدق بعضه بعضًا، وليس فيه أيّ اختلاف أو تناقض.

وهكذا فعلماء أهل الكتاب يؤكدون هذا ويجعلونه من الأمور اللازمة في تفسير نصوصهم، فقد جاء في مقدمة تفسير الكتاب المقدس ضوابط معينة، يعنينا منها القاعدة التي تقول: «لا يجوز الأخذ بجزء من النص وترك باقيه حتى لا تكون الأحكام مبتورة»(١).

وجاء في كتاب حلّ مشاكل الكتاب المقدس(٢): «لا يُفسر قول منقطعًا عن سياق الكلام أو مضادًا له»(٣).

ولذلك لا يصح بتر النصوص ولا أخذ ما يناسب الباحث وترك ما لا يناسبه، بل النصوص وحدة واحدة. وإنّ إثبات نبوة محمدٍ ﷺ أوضح وأسطع من أن يلجأ باحث إلى انتزاعها من نصوص تضمنت ألفاظًا تصف العورات، أو يتكلف في أخذها من قصائد غزلية يشكك معظم علماء أهل الكتاب بصحتها. ولكنّ الباحث اسليماني وقع في هذا الخطأ؛ حيث قام باجتزاء بعض الكلمات من سفر نشيد الإنشاد مستدلًا بها على أنها توافق صفات نبينا محمد ﷺ، علمًا بأنه ترك نصوصًا أخرى وفقرات كاملة في السفر لم يتعرض لها، كما أنه في السطور التي استشهد بها أغفل عدة كلمات فلم يتعرض لها، وهذا كله من البتر والاجتزاء

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، تفسير سفر التكوين، نجيب جرجس، ص ١٣.

(٢) انظر: حلّ مشاكل الكتاب المقدس، القس منسي يوحنا، ص ٢٣. ط٢، مكتبة المحبة القبطية بالقاهرة. ١٩٤٠م.

(٣) انظر: حلّ مشاكل الكتاب المقدس، ص ٢٣.

الذي لا يصح، وهو منهج لا يستقيم. وفيما يأتي أمثلة على تكلف وأخطاء الباحث غفر الله لنا وله:

أورد الباحث النصّ الآتي من سفر نشيد الإنشاد، قائلًا: إنّ فيه اسم محمد ﷺ(١):

«١٠ حَبِيبِي أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ. مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ. ١١ رَأْسُهُ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ. قُصَصُهُ مُسْتَرْسِلَةٌ حَالِكَةٌ كَالْغُرَابِ. ١٢ عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ عَلَى مَجَارِي الْمِيَاهِ، مَغْسُولَتَانِ بِاللَّبَنِ، جَالِسَتَانِ فِي وَقْبَيْهِمَا(٢). ١٣ خَدَّاهُ كَخَمِيلَةِ الطِّيبِ وَأَتْلاَمِ(٣) رَيَاحِينَ ذَكِيَّةٍ. شَفَتَاهُ سُوْسَنٌ تَقْطُرَانِ مُرًّا مَائِعًا. ١٤ يَدَاهُ حَلْقَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، مُرَصَّعَتَانِ بِالزَّبَرْجَدِ. بَطْنُهُ عَاجٌ أَبْيَضُ مُغَلَّفٌ بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ. ١٥ سَاقَاهُ عَمُودَا رُخَامٍ، مُؤَسَّسَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ إِبْرِيزٍ. طَلْعَتُهُ كَلُبْنَانَ. فَتًى كَالأَرْزِ. ١٦ حَلْقُهُ حَلاَوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ. هذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ(٤)(٥)» [نشيد الإنشاد: ٥: ١٠ - ١٦].

---

(١) لعل الباحث يقصد وصف النبي محمد ﷺ وليس اسمه وهذا حسب رأيه، انظر كتابه: إثبات نبوة محمد من خلال التوراة والإنجيل، ص ١٢٤.

(٢) الوقب: كل نقرة في الجسد كنقرة العين. انظر: تفسير نشيد الأناشيد، أنطونيوس فكري، ص ٤٥.

(٣) تلْم: جمعها: أتلام؛ وهي الأخاديد الباقية بعد مرور المحراث بالأرض. انظر: قاموس الكتاب المقدس ١/ ٢٩٠.

(٤) اسم مدينة القدس عند اليهود.

(٥) في اليسوعية: «حبيبي أبيض أصهب، وعلم بين ألوف، رأسه ذهب خالص وإبريز، وخصائله كسعف النخل، حالكة كالغراب، عيناه كحمامتين على أنهار المياه، تغتسلان باللبن الحليب وهما جاثمتان على الحوض، خداه كروضة أطياب وزهراء رياحين، وشفتاه سوسن تقطران مرًا سائلا، يداه حلقتان من ذهب، مرصعتان بالزبرجد، وبطنه كتلة عاج يُغشيه السفير، ساقاه =

يحاول الباحث اسليماني إنزال الأوصاف في هذا النص على نبينا محمدٍ ﷺ مستشهدًا بما ورد من أوصافه الشريفة في صحيحي البخاري ومسلم، فأورد حديث: «.. بل مثل الشمس والقمر مستدير»[١]، وكذلك لفظة (متألق) بالعبرية تعني: الطاهر الصافي، «فنجد الوصف إذن متوافق بين النص التوراتي والحديث النبوي الخاص بسيد الخلق محمد ﷺ»، ثم يضيف نقلًا عن باحث آخر هو سامي عامري: «لا يمكن للنصارى أن يحاجونا بكلمة (متألق) للزعم أنّ المسيح هو المقصود بها»[٢].

قلت: هذا تكلف واضح من الباحث، غايته إثبات أنّ وصف أبيض الوارد في القصيدة ينطبق على نبينا محمد ﷺ.

ومن التكلف أيضًا قوله: إنّ كلمة (أحمر) الواردة في النص توافق الحديث الذي يصف النبي ﷺ بأنه أزهر اللون[٣]، وحديث أنه أبيض مشرب بحمرة[٤]، فهذا وصف يصدق على كثيرين.

=

عمودا رخام موضوعان على قاعدتين من إبريز، وطلعته كلبنان، هو مختار كالأرز، حلقه كله عذوبه، بل هو شهي بجملته، هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم» ص ١٣٨٨.

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ، ٤/ ١٨٢٣، رقم الحديث (٢٣٤٤).

(٢) انظر: إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال التوراة والإنجيل، ص ١٢٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة رسول الله ﷺ،٤/ ١٨٧، رقم الحديث (٣٥٤٧)، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ،٤/ ١٨١٥، رقم الحديث (٢٣٣٠).

(٤) أزهر اللون: أي أبيض مشرب بحمرة، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني،٦/ ٥٦٩، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ،

ويورد الباحث اسليماني عبارة: «١٢ عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ عَلَى مَجَارِي الْمِيَاهِ» [٥: ١٢] وينزلها على نبينا محمدٍ ﷺ مستشهدًا بوصفه الوارد في الحديث بأنه كان أشكل العينين(١)، وهذا ليٌّ واضح لأعناق النصوص وتكلف جليّ. ويلاحظ أنّ الباحث لا يكمل النص ولا يلتفت إلى آخر العبارة وهي: «على مجاري المياه» فأين هذه المياه التي كان النبي ﷺ عندها، فلا نعلم في مكة مجاري للمياه أو أنهارًا ولا في المدينة كذلك. وكيف أنّ رِجلي نبينا محمد ﷺ مغسولتان باللبن؟ فهذا أمر مشكل جدًا، وهو مما أغفله الباحث أيضًا، ولم يتعرض إلى بيانه أو الإشارة إليه!

كما يلاحظ أنه أغفل التعليق على بعض العبارات في النص مثل: «شَفَتَاهُ سُوْسَنٌ تَقْطُرَانِ مُرًّا مَائِعًا» [٥: ١٣] فهل هذا الوصف ينطبق على شفتي رسول الله ﷺ؟ وهل كان ما يخرج منه مرًا أو حلوًا؟ لقد كان يخرج منه جوامع الكلم والرحمة والحق والصدق، وحتى الوعيد للكفار؛ فهذا كله لا يجوز أن يوصف بأنه مرٌّ كما في النص الذي سكت عنه الباحث ولم يُشر إلى ذلك(٢).

وأتساءل أيضًا: ما هو الياقوت الأزرق الذي غُطي به بطن نبينا ﷺ في عبارة: «بَطْنُهُ عَاجٌ أَبْيَضُ مُغَلَّفٌ بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ» [٥: ١٤] وهو مُشكل على الباحث، وقد أغفلها أيضًا.

ثم يتكلف الباحث ويرى أنّ عبارة «حلقه حلاوة وكلُّه مشتهيات» [٥: ١٦]

(١) في الحديث: «أَشْكَلَ العين» أي: طويل شقّ العين. انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب صفة فم رسول الله ﷺ، ٤/ ١٨٢٠، رقم الحديث (٢٣٣٩).

(٢) أورد العبارة في صفحة (١٢٦) من كتابه ولم يعلق عليها.

تنطبق على الحديث النبوي: «بعثت بجوامع الكلم»(١)، وأغفل تكملة العبارة بكاملها وهي: «١٦ حَلْقُهُ حَلاَوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ. هذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ» [٥: ١٦].

أقول: إنها عاشقة تصف محبوبها من رأسه إلى قدميه إلى بنات مدينة (أورشليم) لا كما تكلف الباحث وظنّ أنه وصف لنبينا محمد ﷺ. وإنّ الاعتقاد بأنّ هذا من وحي الله وكلامه، هو تقوّل على الله تعالى، وهو أمر خطير جدًّا، فليُتنبه له!

ثالثًا – إذا كان علماء النصارى يتكلفون في إنزال هذه الأوصاف على عيسى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(٢) فلا يجوز مجاراتهم والرد عليهم من خلال التسليم بأنّ هذا السفر من الوحي، ثم نتكلف وننزل هذه النصوص على نبينا محمد ﷺ؛ فإنّ الباطل لا يدفع بباطل وإنما يدفع الباطل بالحق. وقد سبقت الإشارة إلى أنّ الرد على الخصم بالمثل هو أحد عوامل تكلف الباحثين(٣).

رابعًا: أنّ هذه الأوصاف لا تنطبق على المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا على أحد من الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، لأنهم أنبل وأكرم من هذه الأوصاف التي تليق بشاعر أو عاشق يبوح بمشاعره ويصف أعضاء محبوبته، فكما يجب أن لا يرضاها المسلم لنبيه ﷺ فكذلك يجب أن لا يرضاها مسلم لأحد من الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ لأنها إساءة

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر، ٤/ ٥٤، رقم الحديث (٢٩٧٧).

(٢) أورد الباحث اسليماني تفسيرات للنصارى يُنزلون هذه النصوص على المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. انظر كتابه ص: ١٢٤ و ١٢٥.

(٣) يراجع المطلب الرابع من المبحث الأول.

إليهم، وهم معصومون عن هذه الأفعال والأقوال.

خامسًا: الفرق الواضح بين الوصف النبوي الوارد في السنة المطهرة أسلوبًا وألفاظًا، والوصف الوارد في سفر نشيد الإنشاد، ومن ذلك:

أولًا - وصف النبي كان بأدب وتعظيم وتوقير، فمن حيث الأسلوب كان أسلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مؤدبًا وحييًا، فقصدهم الوصف والبيان لا التغزل، لأن العظماء لا يُتغزل بجمالهم وإنما يُنبه الناس لصفاتهم وأخلاقهم؛ كي يهابوا صاحبها ويوقروه، إلا أنّ ما ورد في سفر الإنشاد هو غزل واضح لا للتوقير والتبجيل وإنما مشاعر فياضة بين عاشقين يصف كل منهما صاحبه بشكل فاضح.

ثانيًا - أنّ وصف النبي ﷺ الوارد في السنة لا يصف إلا الظاهر منه كالوجه واستدارته، وملمس اليدين وغيرها من الأوصاف الظاهرة، في حين أن وصف نشيد الإنشاد يصف طعم الحلق وأشياء لم ترد في السنة مثل تغليف البطن بالياقوت الأزرق، وما يقطر من شفتيه، وغيرها من المشاعر العاطفية والغرامية، إضافة إلى أوصاف المرأة التي يستحيي الفاضل وصاحب الخلق أن يصرح بها.

سادسًا: مما ينبغي التنبيه إليه أنه لا بدّ من قراءة القصيدة بأكملها وعدم الوقوف عند بعض النص وإغفال بعضه الآخر، فهذا بتر للكلام وهو مردود. وبناء عليه ينبغي الوقوف عند وصف العاشق لحبيبته بعد أن قامت هي بوصفه سابقا، فلنتأمل هذا النص ثم نحكم بإنصاف:

«٣ شَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ مِنَ الْقِرْمِزِ[١]، وَفَمُكِ حُلْوٌ. خَدُّكِ كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ تَحْتَ

(١) القِرْمِز: صبغ أرمني أحمر. انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد، ٥/ ٢٥٥، باب القاف والزاي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تفاصيل.

نَقَابِكِ. ٤ عُنُقُكِ كَبُرْجِ دَاوُدَ الْمَبْنِيِّ لِلأَسْلِحَةِ. أَلْفُ مِجَنٍّ عُلِّقَ عَلَيْهِ، كُلُّهَا أَتْرَاسُ الْجَبَابِرَةِ. ٥ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْ(١) ظَبْيَةٍ، تَوْأَمَيْنِ يَرْعَيَانِ بَيْنَ السَّوْسَنِ(٢)» [٤ : ٣ – ٥].

❁ تعقيب:

هذه قصيدة غزلية مترابطة ولذلك لا يصح القول بأنها أوصاف لنبينا ﷺ ثم نُسجت على منوال غزلي كما ذكر الباحث، فالحق أنها قصيدة غزلية وشعور بين عاشقين يصعب فصلهما؛ ولذلك نجد صاحب الوصف – الذي يقال ظلمًا إنه محمد – وفيًا لمحبوبته فيبادلها تلك المشاعر ويقول بلا وجل:

«١مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ. ٢سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. ٣ثَدْيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ(٣)».

---

(١) الخشف: الخشف: ولد الظبي والأنثى خشفة. انظر: جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق رمزي بعلبكي، ١/ ٦٠١، مادة (خشف)، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م. وقال ابن منظور: الخشف: الظبي بعد أن يكون جداية، وقيل: هو خشف أول ما يولد، وقيل: هو خشف أول مشيه، والجمع خشفة، والأنثى بالهاء. انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، مادة: خشف، ٩/ ٧٠.

(٢) في النسخة اليسوعية: «شفتاك كخيط من القِرمز، وكلامك عذب، خداكِ كنصفي رمانة من وراء نقابك، عنقك كبرج داود المبني للسلاح، عُلق فيه ألف مِجنّ، جميع تروس الأبطال، ثدياكِ كشادِنَي ظَبية، توأمين يرعيان بين السوسن» ص ١٣٨٥.

(٣) في النسخة اليسوعية: «ما أجمل قدميك بالحذاء يا بنت الأمير! خاصرتاك المستديرتان كعقود صنعه يد حاذقة، سُرتكِ كأس مُدورة، لا ينقص مزيجها، وبطنك كومة حنطة يسيجها السوسن، ثدياك كشادني ظبية توأمين» ص ١٣٩٠.

فهل يجوز لمسلم أن يصدق بأن هذا الكلام يصدر عن نبينا محمد ﷺ؟

فالمحبوبة تتغنى بحبيبها الذي هو (محمد) كما يرى الباحث[١] والمحبوب (محمد) يتغنى ويتغزل بمحبوبته؛ لأنّ الحب والغرام متبادل فكيف يرضى مسلم بالله ربًّا وبمحمد نبيًّا أن تصدر عن نبيه هذه الكلمات وهو يصور أعضاء محبوبته: (العينان، الثديان، السُرّة، دوائر الفخذين...)؟ ما الفائدة التي تجنيها الأمة والمؤمنون من هذه الأوصاف، إلا تهييج الشهوات وتعكير صفاء النفس المؤمنة!!

كيف يرضى مسلم أن يشابه اليهود أو النصارى في سوء أدبهم مع الخالق جل جلاله!؟ في كتاب (تأملات في سفر نشيد الإنشاد) يعلق الأنبا يوأنس على جملة «لأنّ حبك أطيب من الخمر» فيقول: «في الترجمة السبعينية[٢] جاءت كلمة (ثدياك) بدل كلمة (حبك) وكأنّ المؤمنين يجدون في اللَبَنِ الإلهي المنحدر من ثديي الله عذوبة وفعالية وقوة أكثر مما للخمر[٣]».

أقول: فإذا بلغ بعلماء النصارى من السَّفه والكفر ما يجعلهم ينسبون الثديين لله العظيم - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا - وأن يصف نخبة من علماء النصارى جنة سليمان بقولهم: «تشبيهه لعروسه بجنة مغلقة يمتدح سليمان

---

(١) حاش لله أن تكون أخلاق نبينا محمد ﷺ بمثل هذا، بل هو أكرم وأنبل وأطهر وأكثر أدبًا من أن ينطق بهذا الوصف.

(٢) الترجمة السبعينية هي ترجمة العهد القديم من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية، انظر: دليل العهد القديم، د. ملاك محارب، ص٢٨.

(٣) تأملات في سفر نشيد الإنشاد، الأنبا يوأنس أسقف الغربية، ص ٣٠، ط١، مطبعة الأنبارويس، القاهرة، ١٩٨٩م.

عذراويتها»[١]، فكيف يرضى باحث مسلم أن يشابه اليهود والنصارى بهذا النوع من الكفر!!

وجملة القول: أنّ لَيَّ أعناق النصوص من خلال إنزال بعض الأوصاف الواردة في سفر نشيد الإنشاد هذا على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والقول بأنها تنطبق عليه = هو عين التكلف، وهو دعوىً باطلة، وتكلُّفٌ لا ينبغي، بل يَحرُم مثل ذلك، فلا يجوز خلط الحق بالباطل، كما لا يجوز البتر واجتزاء الكلام، كما أنه مسيءٌ جدًا لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأخلاقه الطاهرة النقية. كما ينبغي على الباحثين - في إثبات نبوته ﷺ في أسفار أهل الكتاب - الاكتفاء بالنصوص التي فيها شيءٌ من الوضوح والاستغناء عن نصوص يشكك فيها علماء اليهود والنصارى أنفسهم. والله تعالى أعلم وأحكم.

المطلب الثالث

التكلف في ردِ نصوص أهل الكتاب ونقدها

بذل علماء الإسلام جهودًا كبيرة وألفوا مؤلفات نافعةً في نقد أسفار أهل الكتاب، وقد ركزوا على العديد من مظاهر التحريف كبعض ما نسب إلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الكفر والشرك والفواحش، وما زالت مثل هذه المؤلفات تتوالى[٢]، ولكنهم لم يتكلفوا في نقدهم، ولم يحكموا بخطأ نص ورد في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة ما يصدقه، إلا أنّ بعض الباحثين المعاصرين كانت لهم زلات

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ١٣٦٩، شركة ماستر ميديا، القاهرة. بدون طبعة وتاريخ.

(٢) للباحث رسالة دكتوراه في نقد العهد القديم.

في نقدهم، ولكنها زلات خطيرة.

لقد وقفت على حكم بعض الناقدين من إخواننا المسلمين على نصوص أهل الكتاب بأنها محرفة، وراح بعضهم يسخر من تلك النصوص علمًا بأنها صحيحة نظرًا لتصديق القرآن الكريم لها. وفيما يأتي نموذجان لهذا التكلف:

۞ النموذج الأول: نقد الأمر الإلهي بقتل عبدة العجل الوارد في سفر الخروج:

لا بد من إيراد النص الوراد في سفر الخروج الذي هو موضع الكلام؛ حيث يتحدث النص عن موقف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن رجع إلى قومه ووجدهم قد عبدوا العجل، وهو: «وقف موسى على باب المخيم، وقال: إليَّ من هو للربّ، فاجتمع إليه جميعُ بني لاوي[1]، فقال لهم: كذا قال الربُّ إله إسرائيل، ليتقلّد كلّ واحد سيفه، واذهبوا وارجعوا من باب إلى باب في المخيم، وليقتل الواحد أخاه، والآخر صاحبَه وقريبَه، ففعل بنو لاوي كما أمر موسى، فسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل، وقال موسى لقد وقفتم اليوم أنفسكم للربِّ، كلّ واحد لقاء ابنه وأخيه، ليعطيكم اليوم بركة» [خروج: ٣٢: ٢٦ - ٢٩].

۞ تعليق الدكتور عبدالله التل:

في كتاب مشهور ومتداول بين الباحثين وهو كتاب (جذور البلاء)؛ لصاحبه الدكتور عبدالله التل(١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يقول في أثناء كلامه على جذور القسوة والهمجية اليهودية: «.. وقبل التوغل في أرض فلسطين تمت مجزرة ابتغاء

---

(١) لاوي: ثالث أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. انظر: قاموس الكتاب المقدس، مادة (لاوي)، ٢/ ٢٨٥.

مرضاة يهوه[١] الذي غضب على شعبه المحبّ للذهب، الساجد له من دون يهوه»، ثم أورد النصَّ السابق الوارد في سفر الخروج، وعلّق عليه قائلًا: «وبعد أن استراحت نفس يهوه واستمتع برؤية شعبه يذبح بعضُه بعضًا وجّه إرادته إلى الشعب المختار راسمًا خطة المجازر الجديدة وحرب الإبادة[٢]».

❁ وجه التكلف:

يلاحظ بوضوح ما وقع فيه د. التل من خطأ وتكلف واضح في نقد هذا النص التوراتي، وزاد التكلف خطورة أنه سخر من الإله الذي أمر - حسب النص - بقتل عباد الوثن، علمًا بأنّ هذه النصوص صحيحة بدليل تصديق القرآن الكريم لها وتقرير أهل التفسير لها، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]، فالآية الكريمة واضحة في أنّ الله تعالى هو من أمرهم بقتل أنفسهم. وقد روى علماء التفسير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وسعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) ومجاهد (ت: ١٠٤هـ) رَحِمَهُمَٱللَّهُ روايات عديدة تبين أنّ قوم موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عمدوا إلى بعضهم بالقتل فكانت للمقتول شهادة وللحي توبة، حتى ورد في بعض الروايات أنّ عدد القتلى بلغ سبعين ألفا[٣]. ومما ورد عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: «أمر موسى قومه عن أمر ربه

---

(١) يهوه: اسم الذات الإلهية، ويترجم غالبا الربّ. انظر: قاموس الكتاب المقدس، د. جورج بوست، مجلد ٢، مادة: يهوه، ص٥٣٨، المطبعة الأمريكانية، ١٩٠١م، بيروت.

(٢) انظر: جذور البلاء، د. عبدالله التل، ص ٢٧، ط١، دار الإرشاد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، بيروت.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري، ٢/ ٧٢ - ٧٩، وتفسير بحر العلوم للسمرقندي، ١/ ٣٤، وتفسير =

عَزَّوَجَلَّ أن يقتلوا أنفسهم، قال: فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، وأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضًا، فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قُتل منهم كانت له شهادة، وكل من بقي كانت له توبة[1]».

وقال الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾: «فإنه يعني بذلك: توبتكم بقتلكم أنفسكم وطاعتكم ربكم، خير لكم عند بارئكم، لأنكم تنجون بذلك من عقاب الله في الآخرة على ذنبكم، وتستوجبون به الثواب منه[2]».

وبعد هذا البرهان لا ينبغي لمسلم أن يتكلف ويرد نصوصًا عند أهل الكتاب قد صدّقها ربنا تبارك وتعالى في القرآن العظيم، فمن فعل ذلك عن علم فهو كفر؛ لأنه تكذيب لله تعالى فيما ثبت من التوراة وفي القرآن العظيم، وعليه فتظهر هنا خطورة التكلف في ردّ أو نقد نصوص أهل الكتاب، فيجب أن لا يحكم المسلم عليها بتكذيب أو تصحيح إلا بعد الوقوف على برهان من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة.

ومن اللازم هنا - وقد تقدم سخرية د. التل - غفر الله لنا وله - من الإله

=

الماوردي، ١/ ١٢٢، وتفسير البغوي،١/ ١١٨، وتفسير الكشاف، ١/ ١٤٠، وزاد المسير ١، ٦٦ - ٦٧، وتفسير القرطبي، ١/ ١٠١ - ١٠٢، ومختصر تفسير ابن كثير،١/ ٦٤. وأيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، ١/ ٥٦.

(١) انظر: تفسير الطبري، ٢/ ٧٣ - ٧٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٢/ ٧٩،

الذي أمر بقتل عبدة العجل - التأكيدُ على أنه لا يجوز لأحد الاستهزاء بالتوراة أو أسفار أهل الكتاب أو لعنها أو سبها؛ فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن رجل لعن اليهود ولعن دينهم وسبّ التوراة، فهل يجوز لمسلم أن يسبّ كتابهم أم لا؟ فأجاب: «الحمد لله، ليس لأحد أن يلعن التوراة؛ بل من أطلق لعن التوراة فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وإن كان ممن يعرف أنها منزلة من عند الله وأنه يجب الإيمان بها فهذا يقتل بشتمه لها؛ ولا تقبل توبته في أظهر قولي العلماء[1]».

قلت: هذا ينطبق على من سبّ أو استهزأ بشيءٍ من التوراة ورد تصديقه في القرآن الكريم. وهذا نموذج على ردّ الناقدين نصوصًا عند أهل الكتاب قد ثبت صحتها في القرآن العظيم، فاللهَ اللهَ في التأني والرجوع للقرآن الكريم قبل إصدار حكم على أسفار أهل الكتاب.

۞ النموذج الثاني: التكلف في قصر العهد الإلهي مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الختان فقط:

وقفت على عدة تكلفات تتضمن آراء شاذة وكلها تتعلق ببني إسرائيل. ومن اللازم في البدء تقرير أمرين؛ الأول: أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أنّ اليهود اليوم لا حق لهم في الأرض المقدسة ولا في المسجد الأقصى، لأنّ كفرهم واضح معلوم، والله تعالى إنما جعل وراثة الأرض للصالحين فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

الثاني: أنّ عداء المسلمين لكفرة بني إسرائيل يجب أن لا يحملنا على عدم

(١) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٣٥/ ٢٠٠، جمع وتحقيق محمد عبد الرحمن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية.

العدل أو على قلب الحقائق بإنكار شيءٍ ورد في القرآن الكريم أو إنكار شيءٍ اتفق عليه علماء الإسلام وغير الإسلام، أو مصادمة حقيقة تاريخية مستفيضة. وقد حثنا ربنا تبارك وتعالى على العدل مع الأعداء، يقول جلّ أمره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

فالمسلم حريص على العدل مع الأعداء طاعة لله تعالى، وإنّ تخطئة باحث أو ناقد مسلم وتصحيح أمر في أسفار أهل الكتاب وإنصاف أعدائنا في مسألة ما، لا يعني بحال من الأحوال أنّ المنصف محب لليهود أو النصارى، فإن الواجب التبرؤ منهم ومن كفرهم، ولكن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ أوجب وأولى من اتباع هوى النفس التي تبغض عدوها الديني والسياسي.

ومن عجيب ما وقفت عليه ما ذهب إليه الدكتور عبد العزيز الخياط (ت: ١٤٣٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث أكد أنّ اليهود لم يقيموا دولة لا في القدس ولا فلسطين، وأنّ سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن ساكنًا في القدس، وإنما كان يجيئها زيارة(١). وهذا تكلف واضح، ومصادمة لحقيقة تاريخية مستفيضة عند علماء الإسلام وغيرهم(٢).

---

(١) انظر كتابه (اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس)، د. عبد العزيز الخياط، ١/ ٨٢، ط٤، دار المتقدمة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ومن آرائه الشاذة وتكلفاته أيضًا نفيه أن يكون موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مدفونًا عند الكثيب الأحمر، زاعمًا أنّ هذا من الإسرائيليات. انظر كتابه السابق، ١/ ٧٩، علمًا بأنه هذا الخبر ورد في حديث نبوي صحيح، انظر مثلًا: صحيح البخاري،٢/ ٩٠، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة ونحوها، رقم (١٣٣٩).

(٢) انظر مثلًا: تاريخ بيت المقدس، عبد الرحمن بن الجوزي، ص٤٠، تحقيق محمد زينهم =

ومما وقفت عليه أيضًا ما ورد في بحث علمي للدكتور أبي بكر عبد المقصود من رأي غريب، ملخصه أنّ العهد أو الوعد الذي قطعه الربّ مع إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو الختان بنص التوراة التي بأيديهم(١)، دون التعرض للعهد بالأرض المقدسة. وقد نصّ الباحث على رأيه هذا في ملخص البحث وفي صفحة(٤٧٩) وفي الخاتمة، مع أنّ الباحث نفسه أورد عدة نصوص في التوراة تصرح بأنّ العهد هو إعطاؤه الأرض كما في الصفحات (٤٧٥ - ٤٧٩) وتأكد هذا العهد مع الأنبياء من بعده كما أورد الباحث ذلك في الصفحات (٤٧٩ - ٤٨٧). فيُلحَظ أنّ الباحث أخذ نصًا واحدًا وهو الذي ذُكر فيه الختان، وأغفل بقية النصوص التي تذكر الأرض المقدسة!!

وجاء البحث في مائة وعشر صفحات (ص٤٦١ - ٥٧٣) من المجلة، لكنّ الباحث لم يصرح بأنّ الله كتب الأرض المقدسة لبني إسرائيل، ولم يورد الآية الكريمة التي صرحت بذلك، ولم يورد شيئًا من أقوال المفسرين عن هذه الأرض، كما أنه قصر العهد الإلهي لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على الختان فقط، وهو بذلك أخذ نصًا واحدًا وترك نصوصًا عدة أوردها هو نفسه، فاللهّ اللهَ في الإنصاف.

لقد صرحت الآيات القرآنية بأنّ الله تعالى كتب الأرض المقدسة لبني إسرائيل، وأمرهم بأن يدخلوها على لسان موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، يقول جلّ شأنه:

=

عزب، مكتبة الثقافة الدينية، والبداية والنهاية، إسماعيل بن كثير،٢/ ٣٥٦. تحقيق د. عبدالله التركي، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار هجر للطباعة.

(١) انظر بحث (النصوص التوراتية بالوعد الإلهي وأرض الميعاد ومحاولة تهويد القدس: عرض ونقد) للباحث د. أبي بكر عبد المقصود كامل، مجلة الدراسات العقدية، ص ٤٧٩، وفي خاتمة البحث ص ٥٦٩، العدد ١٦، السنة الثامنة، ١٤٣٧هـ.

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١]، إلا أنّ الباحث لم يوردها ولم يُشر إليها وهي في صلب بحثه!! وكان من اللازم إيراد الآية الكريمة، ثم بيان جبن بني إسرائيل ورفضهم دخول الأرض المقدسة.

لقد صرّح علماء الإسلام في تفسيرهم هذه الآية الكريمة بما وعد الله به إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وذريته بهذه الأرض المقدسة المطهرة. لقد رجعت إلى تفاسير أغلب علماء الإسلام فوجدتهم ينصون على مثل هذا(١). ولم يكذّب هؤلاء الأكابر الوعد الإلهي لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولم يقصروه على الختان كما فعل الباحث د. أبو بكر عبد المقصود. وكثير من علماء التفسير أوردوا أو أشاروا إلى ما في التوراة من حدود هذه الأرض.

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد الأقوال في تحديد الأرض المقدسة: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى ﷺ، لأنّ القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به. غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير

---

(١) انظر مثلا: تفسير الطبري، ١٠/ ١٦٧ - ١٧٠، وتفسير بحر العلوم، ص ٣٨١، وتفسير القشيري، ص ٤١٦، وتفسير البغوي ٢/ ٣٤، وتفسير الكشاف ١/ ٦٢٠، والمحرر الوجيز ٢/ ١٧٤، وزاد المسير ١/ ٥٣٢، ومفاتح الغيب ١١/ ٣٣٢و ٣٣٣. وتفسير القرطبي ٦/ ١٢٥، وتفسير النسفي ١/ ٤٣٩، ونظم الدرر ٦/ ٧٤، والدر المنثور ٣/ ٤٧، وتفسير أبي السعود ٣/ ٢٣، وتفسير السعدي، ١/ ٢٢٧، وتفسير المنار ٦/ ٢٧٢، وزهرة التفاسير ٤/ ٢١١١. والتحرير والتنوير ٦/ ١٦٢، ومختصر ابن كثير ١/ ٥٠١.

والعلماء بالأخبار على ذلك»[١].

المهمّ أنّ أهل التفسير اهتموا بإيراد أمرين عند كلامهم على كتابة الله الأرض المقدسة لبني إسرائيل؛ الأول: أنّ الله أعطى الوعد لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالأرض المقدسة. والثاني: أنّ بني إسرائيل لم يحفظوا عهد الله تعالى ولم يستقيموا فجعل الله تعالى وراثة الأرض للصالحين، وهم أمة محمد ﷺ كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وللأمانة العلمية فقد نص الباحث على الأمر الثاني[٢]، لكنّ الإشكال في الأمر الأول الذي أنكره، وقصر الوعد الإلهي لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الختان فقط.

أقول: إنّ موقف الباحث في نفي العهد الإلهي مع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيه تكلف يظهر من خلال الآتي:

أولًا: أنه قصر العهد الإلهي مع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الختان فقط، وهذا تكلف واضح ما كان ينبغي قوله، فإنه يشمل الختان كما يشمل الأرض المقدسة، علمًا بأنه يحرم على أيّ مسلم تكذيب ما في أسفار اليهود إذا كان القرآن الكريم قد صدقه، وهذا ما ينطبق على العهد الإلهي مع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فإنهم مثّلوا الإيمان والتوحيد فأكرمهم الله تعالى وأكرم بني إسرائيل حال إيمانهم وحال صبرهم كما كانوا في زمان داود وابنه سليمان عليهما السلام، حيث صارت لهم دولة منيعة وملكٌ عظيم في بيت المقدس وما حولها، يقول جل

(١) تفسير الطبري، ١٠/ ١٦٨.

(٢) انظر: بحث (النصوص التوراتية بالوعد الإلهي وأرض الميعاد ومحاولة تهويد القدس: عرض ونقد) ص ٥١٧.

شأنه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤].

وعن المُلك العظيم قال العلامة السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «والملك الذي أعطاه الله من أعطاه من أنبيائه كداود وسليمان»[١]. وقال الطاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «والملك: هو ما وعد الله به إبراهيم أن يعطيه ذريته وما آتى الله داود وسليمان وملوك إسرائيل»[٢]؛ وعليه فلا يصح قصر العهد الإلهي على الختان فقط.

ثانيًا: أنه لم يورد الآية الكريمة: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١]، ومعنى كتب: أي كتبها الله لبني إسرائيل أو وهب أو أمر[٣]. وهذا من الملحوظات على منهج بعض الباحثين في نقدهم نصوص أهل الكتاب، فإنه يجب أن تستحضر جميع آيات القرآن الكريم والسنة الصحية قبل الحكم على ما في أسفارهم، وإنّ الآية السابقة هي أكثر الآيات صراحة ووضوحًا في موضوعها، فعدم إيرادها وعدم الاستدلال بها هو خطأ جلي، لكونه يتعلق بإغفال آية قرآنية هي محور بحث الناقد الذي اعترض على نصوص أهل الكتاب التي فيها بعض التشابه مع آيات القرآن الكريم.

أقول: إنّ عدم إيراد الآية السابقة في بحث جاوز المائة صفحة واختص بمناقشة الوعد الإلهي بالأرض المقدسة خطأ واضح لا أدري كيف رضيه الباحث!

---

(١) تفسير السعدي، ص ١٨٢.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٥/ ٨٩.

(٣) تفسير الطبري، ١٠/ ١٦٩.

إنه نموذج لتكلف بعض الناقدين في ردّ بعض النصوص الواردة في أسفار أهل الكتاب ونقدها دون تمحيص لما وافق القرآن الكريم وما خالفه.

إنه من الواجب الشرعي والخُلقي إيراد وإبراز ما ورد في القرآن الكريم في غير ما موضع وعدم إخفائه، وإلا تشبه من تعمد إخفاءه ببني إسرائيل الذين كانوا يخفون بعض التوراة، فهذا واجب على الباحث إن كان منصفًا ومطيعًا لربه سبحانه في وجوب إنصاف العدو فيما أعطاه الله تعالى. ومن فعل هذا عن علم فهو تكلف مذموم ومعصية لله تعالى.

ولعلّ العامل النفسي له أثر في هذا الباحث، فعلى الإنسان توخّي الحذر، لأنّ هذا قد يكون خطوة من خطوات الشيطان لما هو أكبر وأخطر، والله تعالى أعلم وأحكم(١).

المطلب الرابع

خطورة التكلف وأثره السيّئ(٢)

بعدما تقدم من عرض نماذج لتكلف بعض الباحثين المسلمين في التعامل مع نصوص أهل الكتاب ونقدها؛ فإنه يمكن إجمال خطورة التكلف وأثره السيئ في الآتي:

---

(١) إنّ نقدي موقفَ الباحث لا يعني أبدًا التعاطف مع اليهود الحاليين، أو أنّ فلسطين حقهم، فهذا لا يقول به مسلم أبدًا، ولكنّ هذا ما رأيته صوابًا في ضوء القرآن الكريم، وكلام المفسرين، ونصحًا للباحثين، وهذه وجهة نظري، والله أعلم.

(٢) جعلت هذا المطلب في نهاية البحث وبعد الحديث عن النماذج السابقة؛ لأنّ خطورة التكلف وأثاره السيئة مستنبطة من عرض التكلفات ونقدها، فرأيت من المناسب وضعها هنا.

أولًا: أنّ التكلف المذموم يُعد مخالفة شرعية في الإسلام؛ لأنه مخالف لأمر ربنا تبارك وتعالى الذي نهى عن التكلف في قوله جلّ شأنه: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦]، فلا يتكلف المسلم في عبادة ولا في رأي ولا في ردّ على أهل الكتاب، فالمسلم لا يقول إلا عدلًا وحقًا، ولا يحكم إلا بالعدل. كما أنه مخالف لسنة رسول الله ﷺ، ولا شك أنّ نبينا محمدًا ﷺ كان أبعد الناس عن التكلف، كيف لا وقد أمره ربه تبارك وتعالى بذلك كما تقدمت الآية الكريمة، بل وأمره ربه جل وعلا بالتصريح بذلك وتحذير الناس من هذا الخُلق الذميم، وهذا ما كان عليه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نهينا عن التكلف»(١)؛ وعليه فالمتكلف تكلفًا مذمومًا مخالف لأمر ربه تعالى ولسنة نبيه ﷺ.

ثانيًا: أنه مخالفٌ لهدي السلف الصالح الذين كانوا بعيدين عن التكلف، وعلى رأسهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «..وأصحاب محمد ﷺ كانوا - مع أنهم أكمل الناس علمًا نافعًا وعملًا صالحًا - أقلَّ الناس تكلفًا يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف ما يهدي الله بها أمة، وهذا من منن الله على هذه الأمة. وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلفات والشطحات ما هو من أعظم الفضول المبتدعة والآراء المخترعة»(٢).

ثالثًا: بما أنّ الشريعة الإسلامية جاءت بما هو محبوب للنفوس من أخلاقٍ

---

(١) تقدم تخريجه ص ٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ٤/ ١٣٨.

وخِلالٍ طيبة، فإنّ التكلف المذموم مكروهٌ من النفوس المعتدلة؛ ولذلك فإنّ التكلف والآراء الصادرة عن تكلف الباحثين لا تجدها إلا مكروهة ومرفوضة من أغلب الخلق حتى من غير المسلمين.

وإذا كان المسلم يكتب مخلصًا لله تعالى بنية تعليم الحق وإشاعة الفضائل بين الناس فلا ينبغي خلط هذا الخير بشر التكلف الذي لا يجد له قبولًا عند الخلق؛ وبناء عليه يمكن القول: إنّ التكلف عامل من عوامل الصد عن الإسلام والتنفير منه، وهذا أمر خطير فليُتنبه.

رابعًا: أنه لا ينبغي لباحث مسلم أن يدفعه عداؤه لليهود والنصارى إلى أن يتكلف في الحكم على أسفارهم؛ لأنّ هذا تشويه لأخلاق الإسلام، لأنّ الله تعالى نهى عن ذلك بقوله جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨] وإنّ ترك التكلف والتحلي بالموضوعية والاعتدال وإنصاف الخصم من أخلاق الإسلام الكريمة التي يجب على المسلمين عمومًا والباحثين خصوصا الالتزام بها.

خامسًا: أنّ التكلف له خطر كبير، فقد يحمل الباحث أحيانًا على إحقاق الباطل أو إبطال الحق؛ فأما إحقاق الباطل فمثاله التكلف في ليّ أعناق نصوص سفر نشيد الإنشاد والتكلف في تطويع الأوصاف الواردة فيها لتنطبق على نبينا محمد ﷺ، علمًا بأن السِّفر قد تعرض لنقد علماء أهل الكتاب أنفسهم كما تقدم(١). وأما إبطال الحق؛ فمثاله ما تقدم من تكلف الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ردّه بشارة التوراة بعيسى ومحمد صلى

(١) يراجع المطلب الثاني من المبحث الثاني.

الله عليهما وسلم التي أجمع علماء الإسلام عليها، نظرًا لحمله الكلام على ظاهره غير المراد(١)، وما تقدم من نقد د. عبدالله التل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأمر الإلهي الذي ورد في التوراة والقاضي بقتل عبدة العجل وسخريته من ذلك، علمًا بتصديق القرآن الكريم هذا الأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤] وهذا – أعني إحقاق الباطل وإبطال الحق– أمر خطير جدًّا.

سادسًا: أنّ الحكم بصحة نصٍّ في أسفار أهل الكتاب يعني الحكم بأنه وحي إلهي، وإذا صدر الحكم عن باحث بطريق التكلف فإنّ الحكم يكون خاطئًا؛ وعليه فتكمن الخطورة في التقوُّل على الله بغير حق ونسبة كلام البشر إلى الله تعالى، والعياذ بالله تعالى. كما أنّ الحكم بتخطئة وتكذيب نصٍّ صحيح في التوراة صدّقه القرآن الكريم هو أشد خطورة، لأنه تكذيب للقرآن والتوراة معًا، والعياذ بالله تعالى. ومن هنا يجب توخي الحذر قبل إصدار حكم على نصوص أهل الكتاب. والله تعالى أعلم وأحكم.

❁ ❁ ❁

(١) يراجع المطلب الأول من المبحث الثاني.

الخاتمة

بعد هذا الجهد المتواضع في الوقوف على تعريف التكلف وعواملة، وعرض نماذج من تكلفات بعض الباحثين والناقدين المسلمين في تعاملهم مع نصوص أهل الكتاب ونقدها يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

أولًا: أنّ التكلف المذموم في البحث العلمي - وغيره – مخالفة شرعية، ومصادمة للقرآن الكريم ولسنة نبينا محمد ﷺ وأخلاق السلف الصالح. كما انّ التكلف يشوه أخلاق الإسلام وينفر عنه.

ثانيًا: أنّ العامل النفسي في الرغبة في إثبات صحة اعتقاد الباحث وتخطئة المخالف، والرد على الآخر بالمثل، وعدم مراعاة اختلاف لغة أسفار أهل الكتاب، وعدم الرجوع إلى القرآن الكريم، والحكم على النصوص من خلال أخذ بعضها وترك بعضها = هي أبرز العوامل التي تدفع الباحثين إلى الوقوع في التكلف.

ثالثًا: أنّ تكلف بعض الناقدين أدى إلى إنكار أمر مشتهر عند علماء الإسلام، وهذا كتكلف الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نقد وردّ نبوءة التوراة ببعثة نبنا محمد ﷺ من جبال فاران (مكة المكرمة).

رابعًا: أنّ تكلف بعض الناقدين أدى إلى تصحيح الباطل، وهذا كتكلف الباحث حفيظ اسليماني وغيره لما حاولوا تطويع نصوص سفر نشيد الإنشاد لإثبات نبوة نبينا محمدٍ ﷺ، علمًا بأن جميع علماء الإسلام وكثيرًا من علماء أهل الكتاب قد طعنوا في هذا السفر الغزلي.

خامسًا: أنّ تكلف بعض الناقدين أدى إلى تخطئة نصٍ من التوراة قد صدقه

القرآن الكريم، وهذا كتكلف الناقد د. عبدالله التل الذي نقد وسخر من الإله الذي أمر بني إسرائيل بقتل عبدة العجل كما ورد في سفر الخروج [٣٢: ٢٦ - ٢٩] الذي صدقه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [البقرة: ٥٤] وذكره معظم علماء التفسير.

سادسًا: أنّ تكلف بعض الناقدين أدى إلى تجاهل حقيقة قرآنية ونعمة ربانية على بني إسرائيل وإن كانوا لم يحفظوها، وهي ما أعطاه الله تعالى إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وذريته في الأرض المقدسة (فلسطين وما حولها) وقصر العهد الإلهي مع إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على الختان فقط وتجاهل ما ورد من نصوص بالأرض نفسها.

سابعًا: أنّ التكلف له آثار سيئة وخطيرة، أهمها إحقاق الباطل وإبطال الحق، والتقول على الله بغير حق، ونسبة كلام البشر إلى الله تعالى، والطعن في الوحي الإلهي عند أهل الكتاب الذي صدقه القرآن الكريم.

۞ توصيات البحث:

يوصي الباحث بالتوسع في دراسة عوامل التكلف عند الباحثين المسلمين، وتخصيص دراسة لبيان التكلف عند الباحثين من أهل الكتاب والرد عليها.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يغفر الزلل، ويقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وينفع به، إنه جواد كريم، وصلِّ اللهم وبارك على نبيك محمد، وعلى إخوانه المرسلين، وآله المطهرين، وأصحابه المكرمين، وأتباعهم إلى يوم الدين، والحمد لله ربّ العالمين.

فهرس المراجع

- القرآن الكريم.

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩١م – ١٤١١هـ.

- إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال التوراة والانجيل، حفيظ اسليماني، ط١، دار الحكمة، القاهرة.

- أديان العالم، حبيب سعد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.

- إظهار الحق، رحمت الله الهندي، تحقيق د. محمد الملكاوي، ط٢، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد السقا، دار التراث، القاهرة.

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، د. بروس بارتون وآخرون، شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر.

- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق علي بن حسن وآخرون، ط ٢، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

- الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، علي بن ربن الطبري، تحقيق عادل

نويهض، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٣٩هـ - ١٩٧٣م.

- العقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط٢، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. الرياض. السعودية.

- العين، الخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تفاصيل.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية، ط٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤.

- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تعليق أحمد فهمي محمد، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

- النصوص التوراتية بالوعد الإلهي وأرض الميعاد ومحاولة تهويد القدس، عرض ونقد، بحث محكم للباحث د. أبو بكر عبد المقصود كامل، مجلة الدراسات العقدية، العدد ١٦، السنة الثامنة، ١٤٣٧هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- تأملات في سفر نشيد الإنشاد، الأنبا يوأنس أسقف الغربية، ط١، مطبعة الأنبارويس، القاهرة، ١٩٨٩م.

- تفسير أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي،

بيروت. بدون تفاصيل.

- تفسير البغوي، الحسبين بن مسعود، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

- تفسير الدر المنثور،، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

- تفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أحمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- تفسير الكشاف، محمود بن عمرو الزمخشري، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- تفسير الماوردي، علي بن محمد الماوردي، تحقيق السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تفسير القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. القاهرة.

- تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن، تحقيق ابراهيم بسيوني، ط٣، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر.

- تفسير المحرر الوجيز، عبد الحق بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، بيروت.

- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

- تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق محمد بديوي، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- تفسير بحر العلوم للسمرقندي، نصر بن محمد السمرقندي، من موقع المكتبة الشاملة، بدون تفاصيل.

- تفسير زاد المسير، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

- تفسير زهرة التفاسير، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، موقع المكتبة الشاملة، بدون تفاصيل.

- تفسير مفاتح الغيب، محمد بن عمر الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

- تفسير نظم الدرر، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تفاصيل.

- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسن الجعفري، تحقيق محمود قدح، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض،١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- جذور البلاء، د. عبدالله التل، ط١، دار الإرشاد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، بيروت.

- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق رمزي بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

- حلّ مشاكل الكتاب المقدس، القس منسي يوحنا. ط٢، مكتبة المحبة

القبطية بالقاهرة. ١٩٤٠م.

- دليل العهد القديم، د. ملاك محارب، الناشر أبناء الأنبا رويس، بدون تفاصيل.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد بن زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمداني المعروف بابن الحائك، طبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ،

- قاموس الكتاب المقدس، تأليف وترجمة د. جورج بوست، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٨٩٤م.

- قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ط ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- كتابٌ على التوراة أو الرد على التوراة، علي بن محمد الباجي، تحقيق السيد يوسف أحمد، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

- محمد ﷺ في الكتب المقدسة عند النصارى واليهود والهندوس والصابئة

والبوذيين والمجوس، سامي عامري. نسخة الكترونية، بدون تفاصيل.

- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، جمع وتحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق واختصار محمد علي الصابوني، ط٧، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، ط٤، دار القلم، دمشق، ١٤٣٠هـ.

- موسوعة تفسير العهد القديم، تفسير نشيد الإنشاد، نسخة الكترونية، إصدار كنسية السيدة العذراء بالفجالة.

- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الرياض، السعودية.

- هفوات التوراة، حنّا حنّا، ص ٧٩-٨١، ط ١، دار النايا، دمشق، ٢٠٠٧م.

فهرس الموضوعات